العدد (2126) السنة الثامنة - الثلاثاء (10) أيار 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

في ظل نقص الابنية وضعف التعليم

صفوف نموذجية في المدارس الاهلية

٣٧٠ مدرسة أهلية في العراق تنافس المدارس الحكومية!

هل يمكن أن ينهض التعليم الرسمي بواجباته مرة أخرى؟

□ بغداد / سها الشيخلي
تصوير: ادهم يوسف

ظاهرة ازدياد أعداد المدارس الأهلية قد تكون دليل عافية من جهة لكنها قد تعني من جهة اخرى مؤشرا على فشل التعليم الحكومي المجاني . فهل بات التعليم الاهلي الظهير والرديف للتعليم الحكومي ام منافساً قوياً له ؟ وما هي اسباب انتشار المدارس الاهلية ؟ وهل ان القصور في اداء المدارس الحكومية اضطر الميسورين من العوائل الى تسجيل ابنائهم في مثل هذا النوع من المدارس رغم كلفها العالية ام انه نوع من الوجاهة ؟ . وتشير المعلومات الى ان نشاط التعليم الاهلي في العراق مؤخرا تقف وراءه اسباب عديدة ، مع الاشارة الى ان بعض الاوائل في المراحل المنتهية (البكلوريا) للعام الماضي كانوا من طلاب تلك المدارس ، ولكنه يبقى بكل أنواعه ضروريا للتقليل من الزخم الحاصل في التعليم الحكومي من قبل الاسرة العراقية ذلك لانه اي(التعليم الحكومي) مجان ما يعني استقطاب الغالبية ، دون أن نغفل ان ارتفاع المستوى المعيشي لاغلب الاسر قد دفعها لتسجيل ابنائها في هذه المدارس . ومع ازدياد اعداد المدارس الاهلية (الابتدائية والإعدادية) إلى أكثر من ٣٥٠ مدرسة مقابل اكثر من ٤ آلاف مدرسة حكومية منتشرة في انحاء العراق عدا اقليم كردستان ، اضافة الى اكثر من ٢٤٨ روضة اهلية ، تبقى الحاجة ملحة للاهتمام وزيادة هذا النوع من المدارس لتسير جنبا الى جنب مع التعليم الحكومي لخدمة المسيرة التربوية والتعليمية في هذه المرحلة واعداد جيل متعلم ومتحضر ولتسهم في القضاء على الامية التي باتت تنخر جسد المجتمع ، والتي تشير اخر احصائية الى ان عدد الاميين في عراق المعرفة قد بلغ اكثر من ٩ ملايين شخص . في هذا الموضوع سنناقش مع عدد من المتخصصين اهم مزايا التعليم الاهلي وطموحاته وهل سينافس التعليم الحكومي؟ وما هي العلاقة بين التعليم الاهلي والوزارة ؟، كما حرصنا على ان نسجل اراء عدد من العوائل العراقية التي فضلت اختيار التعليم الاهلي لابنائها بعد ان كانوا يتلقون تعليمهم في المدارس الحكومية.

فشل التعليم الحكومي

في البدء تشير المهندسة افتخار عبد الرحمن (٥٠) سنة وام لاربعة ابناء ان المستوى المتدني للمدارس الحكومية قد ارغم البعض الى زج ابنائهم في المدارس الاهلية لاسباب عديدة تلخصها بعدم كفاءة المعلم في المدارس الحكومية واهماله المتعمد وعدم جديته ، وهذا الامر يبدو متوارثا من النظام السابق عندما كان راتب المعلم لا يتجاوز الثلاثة الاف دينار ، ولكن من المؤسف ان حالة اللا ابالية والإهمال والتقاعس بقيت عند عدد غير قليل من المعلمين والمدرسيين رغم ما طرأ على رواتبهم من زيادات تجاوزت الضعف او اكثر . وتؤكد افتخار ، ان الاهمال زحف حتى الى رياض الاطفال ، و قد جربت التعليم الحكومي فوجدته غير مجد ولا يعلم الصغار بصورة صحيحة ، بل يعتمد الطالب في دراسته على ما يشرحه الاهل بحيث يقع عبء ذلك على الوالدين ، ما جعلها تنقل ابنها بعد اكماله الدراسة الابتدائية من المدارس الحكومية الى المدارس الاهلية ، والابن الاخر ذهبت به الى كلية صيدلة اهلية ، مع العلم ان اجور الدراسة الاهلية مرتفعة ،اما ابنها الآخر فقد أدخلته كلية بغداد والصغيرة اودعتها روضة اهلية ايضا .

وتقول افتخار رغم ان ظروفها المعيشية جيدة نسبياً الا انها تضطر للاقتصاد في مصروف العائلة لكي توفر اجور الدراسة الاهلية للاولاد ، من اجل ان تضمن مستوى جيدا عندما يتخرجون ، وتؤكد ان اغلب خريجي الدراسة الاعدادية او الابتدائية مستواهم الدراسي ضعيف جدا ، وعن طفلتها الصغيرة ولماذا اودعتها روضة اهلية مع وجود رياض اطفال حكومية، تبين افتخار ان مستوى الأطفال في الرياض الحكومية غير جيد وان المعلمة لا تشرح للصغار اهم الامور وهي احترام الكبير في العائلة وعدم التلفظ بكلمات نابية ، وعدم الاعتداء على اقرانهم .

اما ابو اياد فيوضح ان العائلة الحريصة على مستوى ابنائها التعليمي تضطر للجوء الى تعليم الاولاد في المدارس الاهلية لعدة اسباب منها وجود المختبرات والأجهزة العلمية إضافة الى وجود مختبر خاص بالحاسوب ، كما ان المدرسين يتم اختيارهم بشكل دقيق و من المشهود لهم بالكفاءة والخبرة ، بخلاف المدرسين في التعليم الحكومي الذين اما ان يكونوا من المتخرجين حديثاً و تم تعينهم بالواسطة والمحسوبية او ممن تشغلهم الدروس الخصوصية اكثر من حصصهم الدراسية في المدارس التي يعملون فيها، فمستوى المعلم والمدرس غير مقبول احيانا واذا ما تحدثنا عن متابعة الادارت لكل من الطلبة والمدرسين نجد ان مدير المدرسة الاهلية اكثر حرصا من مثيله في الحكومية ، لانه يخضع للمحاسبة والمتابعة من قبل الوزارة وذوي الطالب ، هذا اذا وضعنا جانبا الفساد المالي والاداري .

وتؤكد المعلمة ام حسام ان التعليم يتراجع الى الوراء عاما بعد عام ، من جميع النواحي حتى في مستوى المباني فغالبية المدارس وخاصة الابتدائية تفتقر الى دورات المياه الصحية وهذه من ابسط الاشياء، وان وجدت فهي عبارة عن صنبور للمياه في الحديقة يتجمع حوله التلاميذ ، و زجاج النوافذ مكسورة ، و لا ستائر تقي الطلبة من شمس الحر ولا رياح الشتاء الباردة ولا زخات المطر ، والمراوح السقفية ان وجدت فهي عاطلة في الغالب ، واسعار الحانوت المدرسي مرتفعة رغم كونه تعاونيا ،بينما نجد العكس من ذلك في الاهلية فالكافتريا منظمة ونظيفة ، ومن المفارقات المؤلمة ان احد التلاميذ الصغار وجد رأس أفعى يطل من بين شقوق جدار الصف ما اثار فزعهم كثيرا .

اما عن المستوى الدراسي فتؤكد انها معلمة وتعلم جيدا ما يجري في المدارس الحكومية من تزوير في الدرجات الامتحانية ولا تكاد تخلو مدرسة من الفساد الاداري والمالي ، ويكثر ذلك اذا كان للمديرة او المدير اقارب في السلطة او متنفذون في وزارة التربية ، اما اذا تحدثنا عن الرحلات غير الصالحة والسبورات القديمة فالامر يطول ، مع العلم ان ميزانية الوزارة كبيرة لكن اوجه الصرف تختلف من مديرية الى اخرى .

وعند سؤالنا المعلمة ام حسام عن مستوى التدريس وهل تبذل المعلمة جهودها لتعليم الطلاب؟ ، أكدت ان الحرص وتأدية الواجب يختلف بين واحدة واخرى ، ولكن قد يكون عدم استيعاب التلميذ سببه كثرة عدد الطلاب في الصف الواحد حيث ان هناك صفوفا تضم أكثر من ٥٠ طالبا فماذا يفعل المعلم؟ ، وكيف يستطيع ايصال المعلومة الى كل هذا العدد الكبير من الطلبة ؟، علماً ان العدد النموذجي المعروف عالميا لا يتجاوز عدد الطلاب عن ٢٥ طالبا في الصف الواحد ، واعتقد ان هذه احدى اكبر عيوب التعليم الحكومي لذا يشكو ذوو الطلبة عدم فهم ابنهم شرح المعلم ويحملون المعلم التقصير في ايصال المعلومة الى التلميذ .

بدورها تشير ام ندى الى ان الاهتمام بالطالب يكون اكبر في المدارس الاهلية بحيث يشعر الطالب انه موضع ثقة معلمه او مدرسه خاصة اذا ما علمنا ان الطلبة في هذه المرحلة العمرية يكونون حساسين الى درجة كبيرة فهم يمرون بفترة المراهقة ، وعلى المعلم والمدرس ان يعاملهم باحترام لا نجده مع الأسف في المدارس الحكومية بل نجد ظاهرة التمايز في معاملة طالب واخر ليس على اساس التفوق العلمي بل مبني على اسس شخصية ، اضافة الى ان المدارس الاهلية تهتم باضافة درس اخر للغة غير الانكليزية المقررة مثل اللغة الفرنسية .

اما عن الأجور التي ربما ترهق كاهل ذوي الطلبة فقد اشارت ام ندى الى ان بعض المدارس لا تطلب الاقساط لمرة واحدة بل تكون شهرية وهي احيانا لا تزيد على ٢٠٠- ١٥٠ الف دينار ، وان الطالب في كل الظروف يكلف اهله مثل هذا المبلغ او اكثر ، حيث تذهب الى المدرسين الخصوصيين قبل الامتحانات النهائية او بعدها . فاغلب العوائل تتحمل عبء هذا المبلغ في المدارس الحكومية بشكل أو بآخر .

اما ام امل فلها رأي اخر حيث تقول ان بعض العوائل يريدون المباهاة عند ادخال ابنائهم في المدارس الاهلية فقد صارت جزءا من الوجاهة ، دون ان تغفل حرص البعض الاخر على حصول ابنائهم على الدرجات العليا في الامتحانات النهائية وهي شبه مضمونة في المدارس الاهلية بسبب طبيعة التدريس.

رئيس لجنة التربية في البرلمان

من جانبه اكد رئيس لجنة التربية والتعليم في مجلس النواب عادل فهد ان التعليم الحكومي له انجازات لا يمكن نكرانها ، صحيح ان هناك نواقص عديدة ترافق المسيرة التعليمية في العراق الناتجة عن تراكمات الماضي من حروب وحصار، الا انها موجودة ايضاً في مجالات عدة وليست محصورة في المجال التربوي فقط . واوضح ان هنالك مؤتمرات عديدة لمناقشة المسيرة التربوية في العراق من اجل الارتقاء ومنها المؤتمر الذي عقد في اربيل نهاية نيسان ، موضحاً ان التعليم الاهلي ليس هو البديل عن التعليم الحكومي ، فقد الزمت الحكومة نفسها من خلال الدستور بالعناية والاهتمام اللازمين في هذا القطاع كونه حقا من حقوق المواطن على الدولة ، اما اذا رغبت العائلة بزج ابنائها في المدارس الحكومية فهذا هو خيارها . وعن ظاهرة انتشار المدارس الاهلية اشار فهد الى ان التعليم الاهلي ليس وليد هذه السنوات القليلة بل له تاريخ قديم فمنذ ١٩٥٢ كان هذا النوع من التعليم موجوداً مثل جامعة الحكمة وكلية بغداد ، بل وحتى بدايات الجامعة المستنصرية كانت على اساس كونها جامعة اهلية ، ، لكنه ضاق وانحسر في السبعينيات ، وعن تفضيل العوائل تدريس ابنائهم في المدارس الاهلية اوضح ان السبب ربما كان الزحام الذي تشهده المدارس الحكومية وضيق الصفوف بالتلاميذ والطلبة ، ما يؤثر على مستوى الاستيعاب ومن المعروف اننا نعاني من نقص شديد في المباني المدرسية ، وقد تم تخصيص مبلغ ٦٠٠ مليار دينار لبناء مدارس اخرى لكن هذا المبلغ لا يسد الحاجة الفعلية لبناء العدد الكافي من المدارس . وعن عدم حرص الكوادر التدريسية وغياب المتابعة والرقابة من قبل وزارة التربية اوضح اننا لا نستطيع أن نعمم ذلك وان نلقي باللوم على المعلم لوحده ، فهناك التدريب والاعداد للهيئات التعليمية والتدريسية ، وقد ناقشنا هذا الامر في مؤتمر اربيل خاصة في مجال الجودة ووحدة قياسها وضرورة ادخال المعلم دورات في سبيل ضبط هذه العملية وان تكون تلك الدورات ذات جدوى .

مدير التعليم الأهلي

ويقول مدير عام التعليم المسائي والاهلي في وزارة التربية جعفر سلوم الخفاجي: طموحنا ان نجعل التعليم الاهلي يوازي التعليم الحكومي في امتداده الافقي والعمودي ، وان نخفف العبء على التعليم الحكومي ونقلل من كثافة الطلاب في الصفوف فالعدد النموذجي هو ان يكون في كل صف ٢٥ تلميذا لا أكثر في حين نرى الان ان عدد التلاميذ في كل صف ٧٠ تلميذا ، ما ينعكس سلبا على مستوى فهم الطلاب ويخلق الفوضى في مثل تلك الصفوف ، والسبب عدم كفاية الابنية لاستيعاب التلاميذ الى جانب رداءة الخدمات المقدمة للطلاب بحيث صارت المدارس الحكومية لا تصلح ان تكون بيئة تربوية . واضاف من المتعارف عليه ان سعة الصف في المدرسة النظامية يجب ان يكون ٤م٥Xم اضافة الى احتوائها على مختبرات حديثة ، لذا يتوجب على الحكومة ان تحتضن التعليم الاهلي وتسهل مهمته ، حيث يعاني التعليم الحكومي من قلة الابنية ، بل وحتى ان وجدت فهي تفتقر الى المواصفات الحقيقية للمدرسة من رداءة المختبرات وغيرها . وقال : ان المشكلة في تقدم التعليم الاهلي وتوسعه يستند الى توفر بعدين، البعد الأول الامتداد الأفقي ويتمثل في زيادة اعداد المدارس لكي تتناسب مع الاقبال الذي اخذ يزداد بحيث لا تستوعبه المدارس الموجودة حاليا ، و البعد الثاني الارتقاء بمستوى المدارس الاهلية وجعلها مدرسة نموذجية تتفق والمعايير الدولية وتضاهي مثيلاتها في الخارج .

وعن عدد المدارس الاهلية الخفاجي اوضح ان لدينا ٣٧٠ مدرسة اعدادية ومتوسطة وثانوية وابتدائية بنين وبنات في عموم العراق ما عدا اقليم كردستان.. اما عن الشروط الواجب توفرها في فتح المدارس الاهلية فقد بيّن الخفاجي قائلاً : يتم منح اجازة فتح المدارس الاهلية بكل انواعها من قبل وزارة التربية / المديرية العامة للتعليم المسائي والاهلي ، بشرط ان يتكون مجلس ادارتها من ثلاثة اشخاص يحمل احدهم مؤهلا تربويا (خريج كلية التربية ، او مدرس متقاعد) او شخصيات معنوية كالنقابات والاتحادات والجمعيات المعترف بها رسميا والتي ينص نظامها الداخلي على المشاركة في مجال التربية والتعليم ، كما هناك مواصفات فنية على وفق نوع ومستوى المدرسة . ويتم تعيين مدير المدرسة من قبل الهيئة المؤسسة ووفق شروط الوزارة ، وكذلك الكادر التدريسي فانه يتم بناء على حاجة المدرسة وتطبق الأنظمة والتعليمات ذاتها المطبقة في المدارس الحكومية.

وبالمقارنة بين المدارس الحكومية ونظيرتها الاهلية اكد الخفاجي ان المقارنة غير واردة لاننا نطمح ان يسير التعليم الاهلي والحكومي وفق خطين متوازيين لخلق جو حر من المنافسة التي نراها تخدم العملية التربوية ، فلا تقوى جميع العوائل على دفع اجور التعليم الاهلي بل هو للعوائل الميسورة القادرة على الدفع مع رغبة اكيدة من الاهل في ان يتلقى الابناء دراستهم بواسطة هذا النوع من التعليم وهناك من لا يرغبون بالتعليم الحكومي لوجود ضوابط وقيود محددة لا يمكن تجاوزها ، ولا ننكر بعض مزايا التعليم الاهلي ومنها وجود دروس اخرى اضافية منها تعليم اللغة الفرنسية والتي تزيد من افق ومدارك الطالب ، مع ان المناهج تكون وفق ضوابط مديرية المناهج والكتب في الوزارة .

وعن الاجور المحددة للمدارس الاهلية اشار الخفاجي الى ان المديرية او الوزارة لا تتدخل في الاجور بل الأمر متروك الى ادارت المدارس الاهلية وفق مبدأ العرض والطلب واسعار السوق ، وهي غير ثابتة بل تتغير كل سنة .

وأشارت مديرة التعليم الثانوي في وزارة التربية شهرزاد شيء عن المدارس الأهلية

عبد الرحمن الى ان المدارس الاهلية جيدة ولكن هذا لا يعني ان المدارس الحكومية سيئة . وقالت لقد عدت قبل ايام من زيارة الى كوريا الجنوبية وشاهدت هناك المنافسة بين التعليم الحكومي والاهلي ، كما وجدت ان هناك دعما كبيرا للتعليم الاهلي ، ولكن عند المقارنة عندنا في العراق نجد ان التعليم الاهلي هو الاحسن ، ولو كنت صاحبة قرار لشجعت التعليم الاهلي لاسباب عديدة اهمها الزحام الذي تشهده المدارس الحكومية وقدم المباني المدرسية .

أما الست أحلام مديرة ثانوية المسرة الاهلية للبنات التابعة الى كنيسة السريان الارثدوكس فتحدثنا عن هذه المدرسة قائلة : تضم المدرسة ٢٥٠ طالبة من مرحلة الصف الاول متوسط الى السادس الاعدادي للفرعين العلمي والادبي ، اما الاقساط فهي مليون دينار عراقي سنويا تدفعه الطالبة على قسطين في السنة ، ونحن كما تؤكد المديرة احلام لا نقبل الدرجات المتدنية بل نطالب ان يكون معدل الطالبة ٨٠٪ للحفاظ على المستوى الجيد للمدرسة ، ولدينا مختبرات علمية مزودة بكل الاجهزة الحديثة ، كما لدينا مختبر للحاسوب ومكتبة ، وتعمل في المدرسة ٢٧ مدرسة من اكفأ المدرسات في العراق من المتقاعدات اللواتي يمتلكن الخبرة الجيدة اضافة الى الكوادر الاخرى ، وقد عرفت مدرستنا بالانضباط ونهتم بالطالبة ونعاملها بكل محبة واحترام ، ومع اننا تابعون إلى كنيسة السريان الارثدوكس فلدينا طالبات من المسلمات ايضا ونعمل جاهدين على تحقيق التوازن بين العلم والتربية والدراسة الممتازة فقد حققنا في العام الماضي نسبة نجاح للدراسة المتوسطة (البكلوريا) بلغت ١٠٠٪ ، وكانت الطالبة الاولى على بغداد في بكلوريا الدراسة المتوسطة ، من مدرستنا ذلك لاننا نهتم كثيرا بسير الدراسة وفق اخر المستجدات في عالم التربية والتعليم ووفق النظريات الحديثة بحيث لا نضغط على الطالبة كما لا نسمح لها بالتقاعس .وعن ظاهرة ازدياد الاقبال على المدارس الاهلية رغم اسعارها المرتفعة اشارت الى ان الدافع الحقيقي وراء انتشار هذا النوع من المدارس هو انضباطها وحرص المدرسات والمعلمات فيها ، كما ان العائلة العراقية صارت تجد في التدريس الاهلي ضالتها في الحفاظ على مستوى جيد للابناء.

ويحدثنا مدير مدرسة عشق بغداد محمد فيقول: تم تأسيس المدرسة عام ١٩٩٤ في اربيل اولاً ، لكننا منذ سنتين انتقلنا الى بغداد بعد استتباب الامن فيها ، وهي تابعة الى شركة مختلطة خاصة بالتربية والتعليم مكونة من مدرسين عراقيين اكفاء . واضاف ان عدد الطلاب فيها هو ٧٥ طالبا يدرسون في المرحلة من الأول المتوسط الى الرابع الاعدادي ، في حين ان عدد المدرسين يبلغ ١٢ مدرسا ومدرسة ، اما الاجور الدراسية فهي مليون و ٧٥٠ دولارا، وعن الدروس الاخرى الداخلة في منهج التعليم اضافة الى اللغة الانكليزية اوضح المدير محمد ان اللغة الثانية هي اللغة التركية.

وختاما لابد من الاشارة الى ان التعليم الحكومي في الخمسينات والستينات كان منافساً قوياً للتعليم الاهلي ، بسبب حرص الهيئات التعليمية والتدريسية على اداء واجبها على أكمل وجه ، غير ان ما شهده العراق من صراعات وحروب اثر بشكل كبير على هذا القطاع الذي نتمنى ان يستعيد عافيته ويرتقي بادائه خاصة وان الغالبية من ابناء شعبنا يندرجون في اطار ذوي الدخل المحدود او المتدني ، وهذا ما يضاعف المسؤولية على مجلس النواب والحكومة من اجل الاهتمام بشكل اكثر بالتعليم من جميع الاوجه.

■ ظواهر مرضية كثيرة تعانيها المدارس الحكومية وليس من معالجة

■ معلمة: أحد التلاميذ الصغار شاهد رأس أفعى من بين شقوق جدار الصف!

■ رئيس لجنة التربية في البرلمان : التعليم الأهلي ليس البديل عن التعليم الحكومي

■ تخصيص مبلغ ٦٠٠ مليار دينار غير كافٍ لبناء المدارس

■ مدير التعليم الأهلي : هنالك صفوف تضم ٧٠ تلميذاً .. وهذا ينعكس سلباً على التعليم

هذا هو حال مدارسنا..!